طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتركبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ماطابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تركبن فأمامن قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الانسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأمامن قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شىء والثالث لتركبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أوفى موضع حال من الضمير فى تركبن قاله الزمخشرى (فمالهم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شىء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشرى هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أومشهود به أومشهود فيه ، وقداضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولا يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولا ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل

الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

ثلاثة أوجه ، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أى يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثانى : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أى يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة ، القول الثالث : أن الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة ، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله «وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم» أو أعمالهم ، أو يوم القيامة . الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء ، والمشهود أممهم لأن كل نبى يشهد على أمته ، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه ، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس ، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله « إن قرآن الفجر كان مشهودا » القول السابع أن الشاهد جميع الناس ، لأنهم يشهدون يوم القيامة أى يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله «فذلك يوم مشهود» والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه ، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » والمشهود به الوحدانية ، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك ، القول الحادى عشر أن الشاهد النجم لما ورد فى الحديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثانى عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون . القول الثالث عشر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس ، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله على بن أبى طالب . القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة (قتل أصحاب الأخدود) الكلام هنا فى ثلاثة فصول : الأول فى جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله «إن بطش ربك لشديد» والثانى أنه «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب ، وثالثها أنه «قتل أصحاب الأخدود» تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتأنيسا للمسلمين المعذبين ، الفصل الثانى فى تفسير لفظها ، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ، وأما الأخدود فهو الشق فى الأرض كالخندق وشبهه ، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبرا ، والأول أظهر. الفصل الثالث فى قصة أصحاب

إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ

الأخدود وفيها أربعة أقوال : الأول ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل معناه : أن ملكا كافراً أسلم أهل بلده ، فأمر بالأخدود فخدّ فى أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى فإنك على الحق . الثانى أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجوس ذلك ، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود . القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة فى قصة عبد الله بن التامر التى وقعت فى السير ، ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيتفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أخدودا فأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر (النار ذات الوقود) النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم (إذ هم عليها قعود) الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل فى إذ قوله قتل فروى أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا ، وقيل سبعين ألفا فقتل على هذا بمعنى لعن أى لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين وروى أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أى قتلهم النار ؛ وقيل الضمير فى إذ هم المؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أى كانوا حاضرين على ذلك الفعل (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) أى ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغى أن ينكر فإن قيل لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضى لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الايمان (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إن كانت هذه الآية فى أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت فى كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله ثم لم يتوبوا لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفى الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له مافعل فى حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ماقبله (ولهم عذاب الحريق) يحتمل أن يكون فى الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد فى الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بقوة وسرعة (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أى يبطش بهم فى الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا

وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۞ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝

سورة الطارق : مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ

الودود فى اللغات (ذو العرش المجيد) أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرئ المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش (هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي صلى الله عليه وسلم (والله من ورائهم محيط) تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء (فى لوح محفوظ) يعنى اللوح المحفوظ الذى فى السماء وقرئ محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أى حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون فى صدورهم

سورة الطارق

(والسماء والطارق) هذه السماء التى أقسم الله بها هى المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق فى اللغة مايطرق أى يجىء ليلا وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعنى الثاقب المضىء أو المرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذى تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لأنه أرفع النجوم إذ هو فى السماء السابعة (إن كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بنى آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعنى الملائكة الحفظة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الا يجاب بعد النفى (فلينظر الإنسان مم خلق) حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسمى المنى ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أى ذو دفق ، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا الآن بعضه يدفع بعضا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذى خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها (يخرج من بين الصلب والترائب) الضمير فى يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هى الأطراف كاليدين

عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝

والرجلين ، وقيل هى عصارة القلب ، ومنها يكون الولد ، وقيل هى الأضلاع التى أسفل الصلب ، والأول هو الصحيح المعروف فى اللغة ولذلك قال ابن عباس: هى موضع القلادة ما بين ثدى المرأة ، ويعنى صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها ، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة (إنه على رجعه لقادر) الضمير فى إنه لله تعالى وفى رجعه الإنسان ، والمعنى أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته ، والمراد إثبات البعث ، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ، وقيل رده من الكبر إلى الشباب ، وقيل الضمير فى رجعه للماء الدافق ، والمعنى رده فى الإحليل أو فى الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور (يوم تبلى السرائر) يعنى يوم القيامة ، والسرائر جمع سريرة وهى ما أسر العبد فى قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر ، والعامل فى يوم قوله رجعه أى يرجعه يوم تبلى السرائر ، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر فى العمل ، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع فى ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين فى القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر ، وهذا كله على المعنى الصحيح فى رجعه ، وأما على الأقوال الأخر فالعامل فى يوم مضمر تقديره اذكر (فما له من قوة ولا ناصر) الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره فى الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة (والسماء ذات الرجع) المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض ، وقيل الرجع السحاب الذى فيه المطر ، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة (والأرض ذات الصدع) يعنى ما تصدع عنه الأرض من النبات ، وقيل يعنى ما فى الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها (إنه لقول فصل) الضمير للقرآن ، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذى فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعنى أنه جد كله (إنهم يكيدون كيدا) الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره (وأكيد كيدا) هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف (أمهلهم رويدا) أى إمهالا يسيرا قليلا يعنى إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرا لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدا يا فلان وكرر الأمر فى قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشرى

سـورة الأعلى : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ *

سورة الأعلى جل جلاله

(سبح اسم ربك الأعلى) التسبيح فى اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد ، ومعنى الكلام سبح ربك أى نزهه عما لا يليق به ، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى ، والآخر أن يكون الاسم مقصوداً بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه ، الأول : تنزيه أسماء الله تعالى عن المعانى الباطلة كالتشبيه والتعطيل ، الثانى : تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن : الثالث : تنزيه أسماء الله عن أن تدرك فى حال الغفلة دون خشوع . الرابع : أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربى الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها فى سجودكم فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد فى التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال سبح اسم ربك الأعلى مع أن التسبيح فى الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذى يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقا فى المعنى لقوله «فسبح باسم ربك» لأن معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ماروى عن ابن عباس أن معنى سبح صل باسم ربك أى صل واذكر فى الصلاة اسم ربك ، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر (الذى خلق فسوى) حذف مفعول خلق وسوى لقصد الاجمال الذى يفيد العموم والمراد خلق كل شىء فسواه أى أتقن خلقته وانظر ماذكرنا فى قوله فسواك فعدلك (والذى قدر فهدى) قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء ، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به ، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدى وقيل هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب ، وقال الفراء المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى وهذا بعيد (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) المرعى هو النبات الذى ترعاه البهائم ، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم ، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود ، وقيل : إن أحوى حال من المرعى ، ومعناه : الأخضر الذى يضرب إلى السواد وتقديره الذى أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء ، وفى هذا القول تكلف (سنقرئك فلا تنسى) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه ، وفى ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝

لأنه كان أميا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن ، وقيل معنى الآية كقوله لا تحرك به لسانك الآية : فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه ، وقيل فلا تنسى : نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس فى قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف فى تنسى (إلا ماشاء الله) فيه وجهان : أحدهما أن معناه لا تنسى إلا ماشاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها والآخر أنه لا ينسى شيئاً ولكن قال إلا ماشاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله «خالدين فيها إلا ماشاء الله» على بعض الأقوال وعبر الزمخشرى : عن هذا بأنه من استعمال التقليل فى معنى النفى والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت قد نسيتها (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التى توجب لك السعادة ، وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام دين الله يسر أى سهل لا حرج فيه (فذكر إن نفعت الذكرى) المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى فى قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت ، وقيل المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذى على الأول (سيذكر من يخشى) أى من يخاف الله (ويتجنبها الأشقى) يعنى الكافر وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والضمير المفعول للذكرى (النار الكبرى) هى نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلى النار فكأنها بعده فى الشدة (قد أفلح من تزكى) يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصى أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) فى طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد ، وقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس (إن هذا) الإشارة إلى ماذكر من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة أو إلى ماتضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته ، والمعنى أنه ثابت فى كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت فى هذا الكتاب

سـورة الغاشية : مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ

سـورة الغاشية

(هل أتاك) توقيف يرادبه التنبيه والتفخيم للأمر ، وقيل هل بمعنى قد وهـذا ضعيف (الغاشية) هى القيامة لأنها تغشى جميع الخلق ، وقيل هى النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة (خاشعة) أى ذليلة (عاملة ناصبة) هو من النصب بمعنى التعب وفى المرادبهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم فى الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون فى الآخرة فيعملون فيهـا عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة فى عذابهم : الثانى أنها فى الرهبان الذين يجتهدون فى العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولهـا عمر بن الخطاب رضى الله عنـه وبكى رحمة لراهب نصرانى رآه مجتهدا فعاملة ناصبة على هذا فى الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم فى العمل أوإلى أنه لاينفعهم فليس لهم منه إلا النصب . الثالث أنها فى القدرية وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعلة (ليس لهم طعام إلامن ضريع) فى الضريع أربعة أقوال : أحـدها أنه شوك يقال له البشرق وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبى صلى الله عليه وسـلم قال الضريع شوك فى النار . الثانى أنه الزقوم لقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . الثالث أنه نبات أخضر منتن ينبت فى البحر وهذا ضعيف ، الرابع أنه واد فى جهنم وهذا ضعيف لأن مايجرى فى الوادى ليس بطعام إنمـا هو شراب ولله در من قال الضريع طعام أهل النار فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعـة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به ، وقيـل هو بمعنى مضرع للبدن أى مضعف وقيل إن العرب لاتعرف هذا اللفظ ، فإن قيل : كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع وقال فى الحاقة ولا طعام إلا من غسلين ؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما فى حال والآخر فى حال (لايسمن ولايغنى من جوع) هـذه الجملة صفة لضريع أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهى التسمين وإزالة الجوع (وجوه يومئذ ناعمة) أى متنعمة فى الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم (لسعيها راضية) أى راضية فى الآخرة لأجل سعيها وهو عملها فى الدنيا (فى جنة عالية) يحتمل أن يكون من علو المكان أومن علو المقدار أوالوجهين (لاتسمع فيها لاغية) هو من لغو الكلام ومعناه الفحش ومايكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أوجماعة لاغية (فيها عين جارية) يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحـدة شرفها بالتعيين (وأكواب

مَّوْضُوعَةٌ ۞ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۞ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۞

سورة الفجر: مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ

موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفى قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة (ونمارق) جمع نمرقة وهى الوسادة (وزرابىّ) هى بسط فاخرة وقيل هى الطنافس واحدها زربية (مبثوثة) أى متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل) حض على النظر فى خلقتها لما فيها من العجائب فى قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التى فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم فى الغالب منه وهو أكثر المواشى فى بلادهم (لست عليهم بمصيطر) أى قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف (إلا من تولى) استثناء منقطع معناه لكن من تولى (وكفر فيعذبه الله) وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أى لا تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة (إن إلينا إيابهم) أى رجوعهم والآية تهديد

سورة الفجر

(والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح ، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله ، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (وليال عشر) هى عشر ذى الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه (والشفع والوتر) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى ، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام ، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان (والليل إذا يسر) أى إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم ليله

لِّذِى حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ

قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التى يسرى فيها والأول أشهر وأظهر (هل فى ذلك قسم لذى حجر) هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التى أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن الله الكفار ويدل على ذلك ماذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون (إرم) هى قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبنى هاشم وإعرابه بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره : بعاد عاد إرم ، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث (ذات العماد) من قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التى بنيت بها وقيل القصور والأبراج (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله فى البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروى أنها بناها شداد بن عاد فى ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية ، وروى أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن ، وروى أن بعض المسلمين مر بها فى خلافة معاوية ، وقيل هى دمشق ، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف (جابوا الصخر بالواد) أى نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادى ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء ، وقيل أراد وادى القرى (وفرعون ذى الأوتاد) ذكر فى سورة داود (الذين طغوا فى البلاد) صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر (فصب عليهم ربك سوط عذاب) استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضى من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية ، وقال الزمخشرى : ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل (إن ربك لبالمرصاد) عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه فى كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان وأنه لايفوته أحد من الجبابرة والكفار وفى ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله فى هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال فى « ونبلوكم بالشر والخير » وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرمن وقوله حين الشر

عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ *

ربى أهانن ويتعلق بالآية سؤالان : السؤال الأول : لم أنكر الله على الإنسان قوله ربى أكرمن وربى أهانن والجواب من وجهين : أحدهما أن الإنسان يقول ربى أكرمن على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر ويقول ربى أهانن على وجه التشكى من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر . والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك . السؤال الثانى : إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربى أكرمن ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكر عليه مايدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أومن اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الإنكار . الثانى أنه أنكر عليه قوله ربى أكرمن إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والانعام كقول قارون إنما أوتيته على علم عندى . الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربى أهانن لا لقوله ربى أكرمن فإن قوله ربى أكرمن اعتراف بنعمة الله وقوله ربى أهانن شكاية من فعل الله (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفى التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم (كلا) زجر عما أنكر من قول الانسان (بل لا تكرمون اليتيم) هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الاضراب بل كأنه أنكر على الإنسان ماتقدم ثم قال بل تفعلون ماهو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم (ولا تحضون على طعام المسكين) الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين ، والطعام هنا بمعنى الإطعام ، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضون على بذل طعام المسكين وقرئ تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا (وتأكلون التراث أكلا لما) التراث هو مايورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو ، واللام الجمع واللف ، والتقدير أكلا ذا لم وهو أن يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال (وتحبون المال حبا جما) أى شديدا كثيرا وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه (دكت الأرض) أى سويت جبالها (دكا دكا) أى دكا بعد دك كما تقول تعلمت العلم بابا بابا (وجاء ربك) تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التى يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل (والملك) هو اسم جنس فإنه روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض (صفا صفا) أى صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس (وجيء يومئذ بجهنم) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝

سـورة البلد : مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد قَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا

سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الإنسان) يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت ، والمعنى أن الانسان يتذكر يوم القيامة لأعماله فى الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس ، وقيل يعنى عتبة بن ربيعة ، وقيل أمية بن خلف (وأنى له الذكرى) هذا على حذف تقديره أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) فيه وجهان : أحدهما أنه يريد الحياة فى الآخرة فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا للآخرة ، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا وقت حياتى فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) من قرأ بكسر الذال من يعذب ، والثاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد ، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أى لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه ، وهذه قراءة الكسائى وروى أن أبا عمرو رجع إليها وهى قراءة حسنة ، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك فى الإيمان ، وقيل المطمئنة التى لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبىّ بن كعب ، ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة ، (ارجعى إلى ربك) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت ، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار ، والأول أرجح ، لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له ياأبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك (راضية) معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله ، أو أرضاها الله بما أعطاها (فادخلى فى عبادى) أى ادخلى فى جملة عبادى الصالحين . وقرئ فادخلى فى عبدى بالتوحيد معناه ادخلى فى جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية فى حمزة وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة

سـورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد) أراد مكة باتفاق ، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة (وأنت حل بهذا البلد) هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفى معناها ثلاثة أقوال : أحدها أن المعنى أنت حال بهذا البلد أى ساكن لأن السورة نزلت والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، والآخر أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر ، وعلى هذا قيل لا أقسم يعنى لأقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة . الثالث أن معنى حل حلال يجوز لك فى هذا البلد ماشئت من قتلك الكفار وغير

الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ *

ذلك مما لايجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلى ولا يحل لأحد بعدى وإنما أحل لى ساعة من نهار يعنى يوم فتح مكة ، وفى ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فإن قيل إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة ؟ فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعنى فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح ، وهذا ضعيف (ووالد وما ولد) فيه خمسة أقوال : أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده ، الثانى نوح وولده ، الثالث إبراهيم وولده ، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده ، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد : إشارة إلى تعظيم المولود كقوله «والله أعلم بما وضعت» قاله الزمخشرى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) أى يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى فى كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس ، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى فى كبد على هذا فى السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) فيه قولان ، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه ، والآخر : أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه ، فعلى الأول نزلت فى جنس الإنسان الكافر ، وعلى الثانى نزلت فى رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة ، وقيل عمرو بن عبد ود وهو الذى اقتحم الخندق بالمدينة وقتله على بن أبى طالب (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثيرة ونزلت الآية عند قوم فى الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا فى إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق فى الصدقات والكفارات ، فقال لقد أهلكت مالى منذ تبعت محمدا (أيحسب أن لم يره أحد) يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له فى قوله أهلكت مالا لبدا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء (وهديناه النجدين) أى طريق الخير والشر فهو كقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعنى ثديى الأم (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس ، وقيل هو جبل فى جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلا وقيل هى دعاء وقيل هى نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضى لزم تكرارها وأجاب الزمخشرى بأنها مكررة فى المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا وقال الزجاج قوله «ثم كان من الذين آمنوا» يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن (وما أدراك ما العقبة) تعظيم للعقبة ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرئ فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها ، قال

فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۞ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۞

سورة الشمس : مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل أنجو به فقال فك الرقبة وأعتق النسمة فقال الأعرابى ليس هذا واحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها وأما فك أسارى المسلمين من أيدى الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجرى فى الكفارات عن عتق رقبة (أو إطعام) من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر ومن قرأ فك بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم فعطف فعلا على فعل (فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (أو مسكينا ذا متربة) أى ذا حاجة ، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه الذى مأواه المزابل (ثم كان من الذين آمنوا) ثم هنا للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام ، ولا يصح أن يكون للترتيب فى الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن (وتواصوا بالصبر) أى وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار (وتواصوا بالمرحمة) أى وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم ، وقيل الرحمة كل ما يؤدى إلى رحمة الله (الميمنة) جهة اليمين و(المشأمة) جهة الشمال ، وروى أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم (نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة

سورة والشمس

(والشمس وضحاها) الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله ، والأول هو المعروف فى اللغة (والقمر إذا تلاها) أى تبعها وفى اتباعه لها ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتبعها فى كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها فى طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك فى النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلى بالنهار فكأنه هو الذى جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه (والليل إذا يغشاها) أى يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل

زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

على الأصح (والسماء وما بناها) قيل إن ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها ، وضعف الزمخشري ذلك بقوله : فألهمها فإن المراد الله باتفاق ، وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم ، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل : لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة ؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذي بناها (طحاها) أي مدها (ونفس وما سواها) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها ، فإن قيل : لم نكر النفس ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقوله « علمت نفس ما أحضرت » والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار (فألهمها فجورها وتقواها) أي عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين ، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو ، كقوله : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » (قد أفلح من زكاها) هذا جواب القسم عند الجمهور ، وقال الزمخشري : الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام ، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله : « فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد وهذا بعيد ، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من ، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب ، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى ، والأول أظهر ، (وقد خاب من دساها) أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قصيت أظفاري وأصله قصصت (بطغواها) هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واواً على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (إذ انبعث أشقاها) العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله وسقياها) منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها ، شربها من الماء (فعقروها) نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم (فدمدم) عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل (بذنبهم) أي بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة (فسواها) قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم (ولا يخاف عقباها) ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقارهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد

سـورة الليل : مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۞ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۞ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۞ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۞ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۞ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۞ الَّذِي

سـورة الليل

(والليل إذا يغشى) أى يغطى وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شىء يستره الليل (والنهار إذا تجلى) أى ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر (وما خلق الذكر والأنثى) ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذى خلق الذكر والأنثى وقيل هى مصدرية وروى ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والذكر والأنثى (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت (فأما من أعطى) أى أعطى ماله فى الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته فى جميع الأشياء واتقى الله (وصدق بالحسنى) أى بالخصلة الحسنة وهى الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وقيل يعنى الأجر والثواب على الاطلاق وقيل يعنى الخلف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أى نهيؤه للطريقة اليسرى وهى فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى يهيؤه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر (وأما من بخل واستغنى) أى بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه فى مقابلة أعطى كما أن استغنى فى مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى فى مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى فى مقابلة نيسره لليسرى ، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة ، ونزلت آية المدح فى أبى بكر الصديق ، لأنه أنفق ماله فى مرضات الله ، وكان يشترى من أسلم من العبيد فيعتقهم ، وقيل نزلت فى أبى الدحداح وهذا ضعيف ، لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت فى أبى سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسرى وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) هذا نفى ، أو استفهام بمعنى الإنكار ، واختلف فى معنى تردى على أربعة أقوال : الأول تردى أى هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت ، أو تردى أى سقط فى القبر ، أو سقط فى جهنم ، أو تردى بأكفانه من الرداء (إن علينا للهدى) أى بيان الخير والشر ، وليس المراد الارشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة (فأنذرتكم ناراً تلظى) خطاب من الله أو من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل (لا يصلاها إلا الأشقى) استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله الذى كذب وتولى ، وتأولها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلاها صلى خلود إلا الأشقى ، والآخر أنه أراد نارا مخصوصة الثالث . أنه أراد بالأشقى كافراً معينا وهو أبو جهل وأمية

يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝

سورة الضحى : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ

ابن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم (يتزكى) من أداه الزكاة أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد فى المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ما روى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم (إلا ابتغاء وجه ربه) استثناء منقطع (ولسوف يرضى) وعد بأن يرضيه الله فى الآخرة

سورة والضحى

(والضحى) ذكر فى الشمس وضحاها (والليل إذا سجى) فيه أربعة أقوال : إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أى استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أى ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب فى الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (ما ودعك ربك) بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة فى الترك (وما قلى) أى ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآى وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحى ، فقالت قريش إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية : تكذيبا لهم وقيل رمى عليه الصلاة والسلام بحجر فى أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية : (وللآخرة خير لك من الأولى) أى الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها ، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (ولسوف يعطيك ربك فترضى) روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت إذاً لا أرضى أن يبقى واحد من أمتى فى النار قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن ، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر فى الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه فى الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله فى الآخرة وكل ما أعطاه فى الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (ألم يجدك يتيما فآوى) عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد فى هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهى بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفى وتركه فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل ثمانية فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثنى عشر عاما فكفله عمه أبو طالب ، وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۞ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۞

سـورة الشرح : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞

لمخلوق (ووجدك ضالا فهدى) فيه ستة أقوال : أحدها : وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف فى أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان» وهذا هو الأظهر وهو الذى اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها . والثانى وجدك فى قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول . والثالث وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وهذا ضعيف ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة . الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود . الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضل فى بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده ، وقيل بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها ، وقيل بل ضل فى طريق الشام حين خرج إليها مع أبى طالب . السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أى وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم « تالله إنك لفى ضلالك القديم » أى محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (ووجدك عائلا فأغنى) العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو فى المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف ، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله ، وقيل المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهى يعم جميعها (وأما السائل فلا تنهر) النهر هو الانتهار والزجر والنهى عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى « فقل لهم قولا ميسورا » ، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر ، والسائل عن العلم والدين وفى قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم فى جميع النعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التحدث بالنعم شكر » ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطانى الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز ، وانظر كيف ذكر الله فى هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر فى مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله ألم يجدك يتيما بقوله فأما اليتيم فلا تقهر ، وقابل قوله ووجدك ضالا بقوله ، وأما السائل فلا تنهر ، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر ، وقابل قوله ووجدك عائلا فأغنى بقوله وأما السائل فلا تنهر على القول الأظهر ، وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) هذا لصدره توقيف معناه إثبات شرح صدره صلى الله عليه وسلم وتعديد ما ذكر

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

سورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره فى صغره أو فى وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال : الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثانى أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بالغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذى أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى : إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شىء ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى نوهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والتشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسرا) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى اذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

سورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان : الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما